

الإيمان بالعرش واستواء الرب عليه

السلام عليكم ورحمة الله. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى الله وصحبه أجمعين من عقيدة أهل السنة والجماعة: الإيمان بما أخبر الله تعالى به من الأمور الغيبية، لدخول ذلك في قول الله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} فكل ما ورد من الأخبار عن الأمور التي لم نطلع عليها، ولكن جاء الخبر فيها عن الله تعالى في القرآن، أو على لسان أو ألسن رسله فإن المؤمن يتقبل ذلك، ويصدق به، ويعتمده في الاعتقاد، ولا يجوز أن يعرض ذلك على عقله كالعقلانيين الذين يقبلون ما تقرأه عقولهم، وبيردون ما لا تدركه عقولهم، ويقولون: إن العقل هو الذي عرف به صدق الرسول فلا نقبل إلا ما جاء صحيحاً موافقاً للعقل، مع أن تلك العقول عقول مضطربة، تقر بالشيء ثم تنكره، أو تنكر الشيء ثم تعترف به، أو يقره بعضهم بعقله، وينكره آخرون بعقله أو بقولهم. فعلى هذا درج أهل السنة، مصدقين بكل ما جاء بكتاب ربهم، وعلى لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم من الأمور الغيبية، فمن ذلك ما أخبر الله تعالى أنه استوى على العرش في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} وفي قوله: {تُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} في سبعة مواضع من القرآن ذكر الله الاستواء على العرش: فطريق إثبات ذلك إلى السمع والنقل، فيؤمن أهل السنة بأن الله تعالى استوى على عرشه كما أخبر بذلك عن نفسه، ولا يكفيون هذا الاستواء، ولا يمثلونه بخصائص المخلوقين، بل يقررون بما جاءت به النصوص، وينزهون الله تعالى عن التشبيه والتلميل، ولا يردون شيئاً مما ثبت به الدليل، فيكونون قد ردوا شيئاً جاء على، أو في شريعتهم من طريق صحيح ثابت. وقد عرف أن العرش عند العرب اسم للسرير العظيم الذي يجلس عليه واحد الملوك: الملوك يصنع لهم سرير رفيع، ويجلس على عليه واحدهم، قال الله تعالى في قصة بلقيس ملكة سبا يقول: {إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأَوْتَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} هكذا وصف بأنه عرش لها تملّكهم، وأنه عظيم، ثم ذكر في القصة أن سليمان قال: {أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا} فأوتى بعرشها في وقت قصير، ثم قال سليمان: {تَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا} {فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَّا هَكَدًا عَرْشُكِ} فهذا دليل على أنه سرير يجلس عليه. وهكذا في قصة يوسف قال الله تعالى: {وَرَقَقَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} أي: على السرير الذي كان يجلس عليه، لما أنها تمت له الولاية، وتم له الملك، ولذلك قال: {رَبِّ قَدْ أَتَيْتِنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتِنِي} فدل على أن يوسف آتاه الله الملك، أي: ملك مصر. وإذا كان كذلك فنقول: إن العرش الذي أتبته الله تعالى لنفسه عرش عظيم، وصفه الله بالعظيم، قال الله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكِّلُتْ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} أخبر بأنه رب العرش العظيم، أخبر بأنه رب العرش، يعني: مالك العرش العظيم، وقال تعالى: {الَّذِي يُحِبُّ الْحَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُحْفَقُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} وصف العرش بأنه عظيم. وكذلك قال تعالى: {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَالِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} وصف نفسه بأنه رب العرش، وقيل: إن الكريم صفة للرب تعالى، أي رب العرش وهو الكريم، وهكذا قول الله تعالى: {دُوْلُ الْعَرْشِ الْمَحِيدُ} فكل ذلك دليل على أن الله تعالى خلق هذا العرش، وأنه عرش عظيم، وحصة بالاستواء عليه في هذه الآيات، ثم ذكر أيضاً أنه رفيع في قول الله تعالى: {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ دُوْلُ الْعَرْشِ} أي: رب العرش، وخالق العرش، ومالكه ورفع الدرجات. وهكذا أخبر بأن الملائكة يحفون حوله، قال تعالى: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ} أي محظيين بالعرش كما شاء الله تعالى، حافين حوله، أو قريبين منه، وأخبر أيضاً بأنهم يحملونه في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} أخبر بأنهم يسبحون، وهم يحملون العرش، وهذا قال تعالى: {وَتَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ وَيُؤْمَدُ ثَمَانِيَّةً} فأخبر بأن العرش محمول كما شاء الله. وهذه كلها أدلة واضحة على أن العرش شيء مخلوق، وأنه عظيم، وأنه محمول، وأن الله خصه بالاستواء عليه كما شاء. وقد أنكر كثير من المعتزلة حقيقة العرش أنه سرير عظيم، وقالوا: العرش هو الملك؛ حيث أنه ثقل عليهم أن يقبلوا هذه الآيات التي فيها الاستواء، فأولوا العرش، وقالوا: استوى على العرش، يعني: على الملك. وهذا إبطال لما خلقه الله، ولما بيته وأخبر به. ولا شك أن حملة العرش يحملونه كما أخبر الله {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ} وإذا قيل: "كيف يحملونه، وهذه عظمته؟ رب العرش العظيم، كيف يستطيعون أن يحملوه وهم مخلوقون؟ وكيف يحمله ثمانية أو أربعة كما في بعض الروايات؟ فالجواب: أن حملة العرش حملوه بقدرة الله، وبقوته الله، في بعض الروايات أنه لما خلقهم قال: خلقتكم لحمل عرشي، فقالوا: كيف تحمل عرشك وأنت رب العالمين؟ فقال: قوله: يسبحان الله وبحمده، فاحملوه، فسبحوا الله تعالى وحملوه، يعني: أن قد أقدرهم الله تعالى على حمله بهذا التسبيح {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلُهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} أخبر بأنهم يسبحون ربهم، ويؤمنون به.